تفسير سورة
ق

سُورَةُ قٓ

آياتها ٤٥ — ترتيبها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى

ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

[بسم الله الرحمٰن الرحيم]
ربّ يسِّر يا كريم[1]

الحمدُ لله ربّ العالمين حمد الشاكرين.

ثم لنختم هذا الإملاء، بتفسير سورة ﴿ق﴾ لما اشتملت عليه من المطالب العالية.

قوله عز وجل: ﴿ق﴾ اختلف فيه، فقيل: هو جبل مُحيط بالأرض من جوهر أزرق، وإن شعاعه يقع على السماء فمنه زُرقتها. وقيل: الإشارة به إلى قدرة الله عزّ وجلّ، لأنّه حرف منها، كما قال ابن عباس في ﴿كهيعص﴾ إن الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من عليم، والعين من عزيز، والصاد من صادق[2]. ويحتمل أن يكون ﴿ق﴾ أمراً، ثم فيه وجهان:

أحدهما: من الوقوف، كقول الراجز:

قُلْنا لها قِفي لنا قالَتْ قافْ[3]

---

(١) في أول المخطوطة: (قال العلامة نجم الدين، سليمان بن عبدالقوي البغدادي الحنبلي).

(٢) الطبري ١٦/٣٣، والقرطبي ١١/٧٤، والدر المنثور ٤/٢٥٨.

(٣) ينسب البيت للوليد بن عقبة. ينظر الفراء ٣/٧٥، والخصائص ١/٣٠، والطبري ١/٧٠، ٢٦/٩٣، والقرطبي ١/١٥٥، ١٧/٢، وشرح شواهد الشافية ٢٧١.

أي وقفت. وكما استعمل (ق) في وقفت، فكذا يستعمل في قف. فيكونُ المعنى قف للكفّار فسترى عاقبتهم.

الثاني: أنّه أمر من المقافاة، كما قيل في ﴿ص﴾ بكسر الدال[1]: إنّه من المصاداة[2]، فيكون المعنى قافِ الكفار: أي أعرِضْ عنهم وولِّهم قفاك، نحو أعرِض عنهم فسيكفيكهم، ويكون على هذا من آيات الإعراض المنسوخة، أو المحكمة بمعنى التهديد[3].

قوله عز وجل ﴿**والقرآنِ المجيد**﴾ قسم بالقرآن، ﴿والمجيد﴾ قد سبق أنه «فعيل» من المجد: وهو الشرف[4].

قوله عز وجل: ﴿**بل عَجِبوا**﴾ الآية. ﴿بل﴾ حرف معناه الإضراب فيقتضي مُضْرَباً عنه، وليس مذكوراً، فهو محذوف دلّ عليه سياق الكلام. فالتقدير: والقرآن المجيد ليس بخافٍ عنهم أمرُك، ﴿بل عجبوا﴾ أو: والقرآن المجيد لست بكاذب كما يزعمون.

﴿**بل عَجِبوا أنْ جاءَهم مُنْذِرٌ منهم**﴾ اختصّ عَليهم

---

(١) في الأصل (الصاد) والصواب ما أثبت.

(٢) هذا في قراءة (قافِ) بكسر الفاء، وهي للحسن وغيره، كقراءة الحسن (صادِ) بكسر الدال، القرطبي ١٥/١٤٢، ١٧/١، والبحر ٧/٣٨٣، ٨/١٢٠، والإتحاف ٣٧١، ٣٩٨.

(٣) ينظر معنى (ق) في الطبري ١٦/٣٣، والقرطبي ١١/٧٤، والدر ٤/٢٥٨.

(٤) وردت كلمة (مجيد) في سورة هود ٧٣، والبروج ١٥، ٢١، ولا يدرى أين سبق بيان المؤلف لها.

بالرسالة، وليس ذلك محلّ عجب، وإنما هي شبهة وقعت لهم، ويحتمل أن يكون جواب القسم: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[1] على ما ذكر نظيره بعضُ المفسّرين، لكنّه بعيد جداً ﴿أن جاءهم﴾ أي: عجبوا من أن جاءهم، أي من مجيء منذر منهم، لأن ﴿أن﴾ وما بعدها في تقدير المصدر، وعجبت لا تتعدّى بنفسها بل بمن، تقول: عجبت من كذا، ولا تقول عجبت كذا، ويحتمل تضمين عجبوا معنى استعظموا، فيتعدّى بنفسه، أي استعظموا أو استغربوا مجيء منذر منهم. وفائدة قوله عز وجل: ﴿منهم﴾ التنبيه على المثل المشهور «مغنّية الحيّ لا تُطرب»، وقولهم: « ما وقّرك كبيراً من عرفك صغيراً»[2]، وفيه إشارة إلى قول الأمم الخالية: ﴿أبَشَراً منّا واحِداً نتّبعه﴾[3]، ﴿ما أنتم إلّا بَشَرٌ مثلُنا﴾[4]، ﴿ءأُلْقِي الذكرُ عليه من بيننا﴾[5] ونحو ذلك، لأنهم استشعروا من كونه منهم مساواتهم له، ثم رأوا تخصيصه بإنذارهم ترجيحاً من غير مرجِّح فأنكروه لذلك، والمقدّمتان باطلتان.

﴿فقال الكافرون﴾ عطف على ﴿عجبوا﴾ والأصل: بل عجبوا فقالوا، ولكن وضع الظاهر موضع الضمير تشنيعاً عليهم

---

(١) سورة ق: الآية ٣٧. وينظر القول في جواب القسم: الفراء ٣/٧٥، والمشكل ٢/٣١٨، والعكبري ٢/٢٤١، والقرطبي ١٧/٣، والبحر ٨/١٢٠، والدر المصون ٧٣ ب.

(٢) لم أقف عليهما في كتب الأمثال، ويبدو أنهما مما أُثر من الأمثال المتأخرة.

(٣) سورة القمر: الآية ٢٤.

(٤) سورة يس: الآية ١٥.

(٥) سورة القمر: الآية ٢٥.

وتعظيماً لمقالتهم ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾[1] ﴿هذا شيء عجيب﴾ ﴿٢﴾ هذا إشارة إلى مجيء منذر منهم، ثم لما عجبوا من ذلك بقلوبهم نطقوا بمقتضى تعجّبهم بألسنتهم، ثم لمّا كان من جملة ما أنذرهم به المنذر عذاب الآخرة الكائن بعد البعث صرّحوا بالتعجّب منه، فقال: ﴿أئذا مِتْنا وكُنّا تُراباً ذلك رَجعٌ بعيد﴾ ﴿٣﴾ وهو استفهام إنكار واستبعاد، وهذه همزة استفهام دخلت على همزة (إذا). فصارت ﴿أإذا﴾ و﴿كُنّا﴾ أي صرنا، وكان يقع بمعنى صار، نحو قوله:

. . . . . قطا الحَزْن، قد كانَتْ فراخاً بيوضُها[2]

أي صارت. ﴿ذلك﴾ يعني رجوعنا بعد الموت ﴿رجعٌ بعيد﴾ أي ممتنع، لأن إحياء الموتى خصوصاً بعد التلاشي ممتنع في قوّة البشر، بعيدٌ عن عقولهم، ولولا أن الشرائع فتحت باب جوازه لما أقدم عاقل على تجويزه.

قوله عز وجل: ﴿قد عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرض منهم﴾[3] لما أحالوا البعث أشار الله عز وجل إلى جوازه بالدليل، وتقريره من الآية وما بعدها: أن المصحح للبعث هو العلم التام والقدرة التامة، والله عزّ وجلّ تام العلم والقدرة، فبتمام علمه يعلم ما

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

(٢) البيت لابن أحمر، شرح المفصل ١٠٢/٧، واللسان ـ كون، وخزانة الأدب ٣١/٤، وصدره:

بتيهاءَ قفر، والمطيُّ كأنّه . . . . . .

(٣) تمام الآية ﴿. . . وعندنا كتابٌ حفيظ﴾.

تنقص الأرض منهم من لحم ودم وعظم، وانحلال ذلك كلّه إلى الجواهر المفردة، ويعلم محالّها بعد انحلالها، وهي ثابتة في الكتاب الحفيظ، وهو أم الكتاب. أو هو كناية عن كمال العلم الإلهي، والله عز وجل قادر على تأليف تلك الأجزاء وإعادة ما نقص منها بقدرته التامة، وأشار إليها بقوله عز وجل: ﴿أفَعَيِينا بالخلق الأوّل﴾[1] فتم بذلك الدليل على إمكان البعث، وإذا كان ممكناً فلا وجه لإحالته، ثم إذا أخبر به الصادق وجب الإيمان به، وقد سبق في العقيدة تقرير ذلك ﴿حفيظ﴾: بمعنى حافظ لما فيه، أو محفوظ، نحو: ﴿بل هو قرآنٌ مجيد * في لوحٍ محفوظ﴾[2] والمقصود على القولين أن ما في هذا الكتاب محفوظ لا يتغيّر ولا يتبدّل.

قوله عز وجل: ﴿**بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءَهم**﴾ الآية، هذا إضراب ثان، فهو إما بدل من الأول، أو هو مستقلّ[3]، والتقدير: إن رجعهم بعد الموت ليس محالاً، وقد بيّنا إمكانه، بل هم قوم مكذّبون بالحقّ معاندون له، والحقّ هو القرآن أو الإخبار بالبعث مع قيام دليله. أو النبيّ، أو الإسلام، وكلّها متلازمة. وقوله عز وجل: ﴿لمّا جاءهم﴾ أي حين مجيئه إياهم، فهي ظرف للتكذيب. وفي ﴿لمّا﴾ إشارة إلى شدة التشنيع عليهم حيث بادهوا بتكذيب الحقّ من غير تروٍّ ولا نظر، ونظيره قوله عز وجل: ﴿وقال

---

(١) سورة ق: الآية ١٥.

(٢) سورة البروج: الآية ٢١، ٢٢.

(٣) البحر ١٢١/٨، والدر المصون ق ٧٣ ب.

الذين كفروا للحقّ لما جاءهم إنْ هذا إلاّ سحرٌ مُبين﴾[1]. و﴿جاءهم﴾. بمعنى بَلَغَهم أو وصل إليهم، أو أدركوه، أو علموه، لأن المعاني لا يتأتّى منها المجيء حقيقة، أو: لما جيئوا به، اللهم إلا أنه يراد بالحقّ الرسول، فيصحّ المجيء الحقيقي فيه.

﴿فهم في أمرٍ مَريج﴾ ۝٥ الفاء معناها السببية، لأنّ تكذيبهم بالحقّ أوجب لهم الاختلاط في أمرهم، ولو صدقوا به كغيرهم لما اختلط عليهم أمر، والمراد بالأمر الاعتقاد، أي هم في اعتقاد مختلط، وهو معنى المريج، ومنه مارج النار لاختلاطه من دخان ونار. ومَرَجَتْ أحوالُ القوم: اختلطت، فهم متردّدون بين الإيمان والإنكار، وإمكان البعث وامتناعه. و﴿مريج﴾ «فعيل» بمعنى «مفعول»، أي ممروج مخلوط، فهذا دليل من أدلّة البعث. ثم شرع في غيره من أدلته، فقال عز وجل:

﴿أوَ لَمْ ينظروا إلى السماءِ فوقَهم كيف بَنَيْناها. . .﴾ الآية. هذا أيضاً استفهام إنكار، وفيه معنى التبليد، أي: هؤلاء بُلَداء حيث لم ينظروا في خلق السماء فيستدلوا به على ما أنكروه من البعث، وطريق ذلك ما مرّ من أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وخلق الناس أكبر من إعادتهم، فالقادر على الأكبر بمرتبتين كيف يعجز عن الفعل الأصغر، والمراد بالنظر ها هنا نظر العين، ولهذا عدّاه بـ﴿إلى﴾ ثم يترتّب على نظر العين نظر القلب،

---

(١) سورة سبأ: الآية ٤٣.

ونحوه ﴿وجوهٌ يومَئِذٍ ناضِرة. إلى ربِّها ناظِرة﴾[1] ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَت﴾[2]. و﴿بنيْناها﴾ رفَعْناها على هيئة البناء، ﴿والسماءَ بَنَيْناها بأيدٍ﴾[3] والبناء حقيقة هو المشاهد: وهو وضع اللَّبِن ونحوه بعضه على بعض مباشرة، والله عزّ وجلّ يقول للشيء: كن فيكون، ويجوز أن يكون إنشاء السماء والأرض من الله عز وجل على هيئة إنشائه لهما بناء حقيقياً بالنسبة إليه عزّ وجلّ. **﴿وَزَيّنّاها﴾** يَعني بالنجوم كما ذكر في «الصافات» «وتبارك»[4] وغيرهما. **﴿وما لها من فُروج﴾** ﴿٦﴾ أي هي مصمتة لا خرق فيها، ولعلّ الإشارة إليه بقوله عز وجل: ﴿الذي خلق سبعَ سمواتٍ طِباقاً ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوُتٍ فارجِعِ البَصَر هل ترى من فُطور﴾[5] جمع فطر: وهو الصدع، ومنه: ﴿السماءُ مُنْفَطِرٌ به﴾[6]. ﴿تكادُ السمٰواتُ يتفطّرن من فوقهنّ﴾[7].

فإن قيل: إذا لم يكن للسماء فُروج فمن أين تنزل الملائكة وتصعد؟ فالجواب: يحتمل أن لها أبواباً معدّة للصعود والنزول، وقد ثبت في حديث المعراج أن جبريل كان يستفتح عند وصوله

---

(١) سورة القيامة: الآية ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة الغاشية: الآية ١٧.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٤) في قوله تعالى في سورة الصافات الآية ٦: **﴿إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾** وفي سورة الملك الآية ٥: **﴿ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح . . .﴾**.

(٥) سورة الملك: الآية ٣.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٨.

(٧) سورة الشورى: الآية ٥.

كل سماء[1]، وذلك يدلّ على ما قلنا. والنفي وقَع للفروج لا للأبواب. ويحتمل أن الملائكة تخترقها صاعدة ونازلة كحركة السمك في الماء. والطير في الهواء، من غير انخراق مستقرّ، ولا حجّة للفلاسفة في هذا، على أن العلل لا تقبل الحرق والالتئام، لأن الآية إنما نفت الفروج عن السماء بالفعل لا بالقوة.

قوله عز وجل: ﴿**والأرضَ مَدَدْناها**﴾ الآية ﴿الأرض﴾ نصب من باب: زيداً ضربته ﴿والقمرَ قَدَّرْناه﴾[2] من باب الاشتغال. و﴿مَدَدْناها﴾ بَسَطْناها ودَحَوْناها بعد أن كانت رابية مجتمعة. ﴿**وأَلْقَيْنا فيها رواسِيَ**﴾ وضعنا فيها جبالاً رواسي ثوابت متغلغلة فيها لتمسكها أن تميد بالخلق. ورسا ورسب متقاربان في المعنى، غير أن رسا في الجامد ورسب في المائع[3]، هذا هو المعروف، وقد يستعمل أحدهما بمعنى الآخر ومنه (كان لرسول الله ﷺ سيف يسمّى الرَّسوب)[4] يرسب في الضربية وينزل فيها، ﴿**وأَنْبتنا فيها من كل زوجٍ**﴾ صنفٍ من النبات ﴿سبحانَ الذي خَلَقَ الأزواجَ كلَّها﴾[5] ﴿أَوَ لم يرَوا إلى الأرضِ كم أَنْبَتْنا فيها من كلِّ زوجٍ كريم﴾[6] ﴿**بَهيج**﴾ ﴿٧﴾ مبهج، يؤثر لمن يراه بهجة وراحة، وفي

---

(١) ينظر البخاري (الفتح) كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ٦/٣٠٢.
(٢) سورة يس: الآية ٣٩.
(٣) ينظر المقاييس ٢/٣٩٤، ٣٩٥.
(٤) طبقات ابن سعد ١/٤٨٦، والنهاية ٢/٢٢٠.
(٥) سورة يس: الآية ٣٦.
(٦) سورة الشعراء: الآية ٧.

الكلام المشهور: (ثلاثة تنفي عن القلب الحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن)[1].

﴿تبصرةً وذِكرى﴾ أي فعلْنا ذلك للتبصرة[2]: أي ليتبصّر به ﴿لكلّ عبدٍ مُنيب﴾ ﴿٨﴾ ويتذكّر به فيعرف صانعه بآثاره المتقنة. والمنيب: الراجع إلى الله عز وجل بالإيمان والطاعة، من: أناب ينيب إنابة، فهو منيب، وقد بيّنّا وجه دلالة خلق السماء والأرض على إعادة الخلق، فهذا دليل ثان.

قوله عز وجل: ﴿ونَزَّلْنا من السماءِ ماءً مباركاً. . .﴾ الآية، فهذا دليل ثالث، على البعث، وقد صرّح به بقوله عز وجل: ﴿كذلك الخروج﴾[3] يعني خروج الموتى أحياء من الأرض، وفي آخر السورة: ﴿ذلك يومُ الخروج﴾[4] ونزَّلْنا وأنزلْنا بمعنى، وربما فرق بينهما بأن التنزيل يقتضي تكثيراً أو تكراراً بخلاف الإنزال، وفيه نظر، بدليل: ﴿لولا نُزِّل عليه القرآنُ جملةً واحدة﴾[5]. ﴿من السماء﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، و﴿السماء﴾: كلّ ما علا فأظلّ،

---

(١) روي: (ثلاثة يجلين البصر. . .) وقيل: إنّه من الحديث الشريف، وضُعّف. ينظر كشف الخفاء ٣٨٦/١، وفيض القدير ٣١٣/٣، وضعيف الجامع الصغير ٦٢/٣.

(٢) أي مفعول لأجله: ويعرب مفعولاً مطلقاً، والفعل محذوف تقديره: بصّر، وذكّر، كما يعرب حالاً. ينظر العكبري ٢٤١/٢، والبحر ١٢١/٨، والدر المصون ٧٤ أ.

(٣) سورة ق: الآية ١١.

(٤) سورة ق: الآية ٤٢.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

والماء المبارك: المطر. واختلف في المطر: هل ينزل من فوق السماء أو من جهتها من دونها، فيه خلاف، والثاني أشبه. وسمّي المطر مباركاً لأنّه من الجهة المباركة التي هي قبلة الدعاء ومحلّ الملائكة وغير ذلك. ونُقل عن علي رضي الله عنه أنّه قال: «من مرض فليأخذ ماء المطر وشيئاً من صداق امرأته يشتري به شيئاً من عسل، فيمزجه بالماء، وليأكله، يبرأ إن شاء الله عز وجل». ليجمع بين المبارك والهنيء والشفاء[1]. يعني قول الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنا من السَّماءِ مباركاً﴾، ﴿فإنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نَفْساً فكُلوه هنيئاً مريئاً﴾[2]. ﴿فيه شِفاءٌ للناس﴾[3]. ﴿فأنْبَتْنا﴾ أخرجْنا ﴿بِهِ﴾ بسببه ﴿جنّاتٍ﴾ بساتين ﴿وحبَّ الحَصيد﴾ ﴿٩﴾ ظاهر هذا إضافة الشيء إلى نفسه، إذ الحبّ هو الحصيد، وهو رأي الكوفيين، ومنع ذلك البصريون لاقتضاء الإضافة شيئين متغايرين: مضافاً ومضافاً إليه، وتأوّلوا هذا وأمثاله مثل: دار الآخرة، وصلاه الأولى، ومسجد الجامع، على حذف مضاف: أي صلاة الساعة الأولى، ودار الكرّة الآخرة، ومسجد الموضع الجامع، وحبّ العصف الحصيد[4]. ولا نسلّم أن الحبّ هو الحصيد، بل الحصيد العصف: وهو التِّبن، ويسمى الجِلّ، والحبّ مضاف إليه، والمراد: أنْبَتْنا به التمر والزرع. ﴿والنخل﴾ عطف على ﴿جنّات﴾

---

(١) ينظر القرطبي ٥/٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٦٩.

(٤) ينظر الفراء ٣/٧٦، والمشكل ٢/٣١٩، والقرطبي ١٧/٦، والعكبري ٢/٢٤١، والبحر ٨/١٢١.

أي وأنبتنا به النخل، دليله: ﴿وهو الذي أَنْزَل من السّماء ماءً فأخْرَجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ﴾[1] الآية. ويحتمل عطفه على محل ﴿إلى السماء﴾ تقديره: أفلم ينظروا إلى السماء[2].

﴿والنخل باسقاتٍ﴾ عاليات مرتفعات. يقال بسَق: إذا علا وارتفع، ومقلوبه سبق، وفيه معنى العلوّ معنى أو حسّاً، كسهمين مرتفعين في الجو يسبق أحدهما الآخر. و﴿باسقات﴾ نصب على الحال، على تقدير: أفلم يروها باسقات. أو: وأنْبتنا النخل باسقات، فيكون حالاً مقدّرة، إذ حال إنباتها لم تكن باسقة وإنما بسقت بعد ذلك[3]. والنخل جمع نخلة، ولهذا جمع باسقات جمع المؤنث، ولو أُريد بالنخل اسم الجنس لقال باسق، على أنّه يجوز ملاحظة الجمع في اسم الجنس، فيريد بالباسقات جنس النخل. فإن قلت: إن أُريد بالنخل العموم فليس جميعه باسقاً، وإن أُريد بعضه وهو الباسق منه فهو خلاف ظاهر العموم. فالجواب: يجوز أن يراد به العموم، وينزل على القدر المشترك من البُسوق في النخل ولو طول ذراع فإنه طول، إذ الطول والقصر معنيان إضافيان، ويجوز أن يراد البعض وهو النخل الطوال، ويكون لفظاً عاماً أُريد به الخاص. وقوله عز وجل: ﴿لها﴾ أي للنخل ﴿طَلْعٌ﴾ وهو ثمرها أول ظهوره، مشتقاً من طلع يطلع: إذا ظهر، وأضيف إليها لأنّها محلّه ومستقرُّه، والإضافة تتحقّق بأدنى ملابسة. قوله عز وجل: ﴿نَضيد﴾ ﴿١٠﴾ منضود، والنَّضْد: النظم،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٢) اقتصر العبكري ٢/٢٤١، على الأول.

(٣) البحر ٨/٢٢، والدر المصون ٧٤ أ.

ومن المشاهد أن عراجين النخل في سائر أحوالها تشبه العقد المنظوم. والنظيم والنضيد متقاربان لفظاً ومعنى.

قوله عز وجل: ﴿**رِزْقاً للعباد**﴾ يجوز نصبه على القطع على رأي الكوفيين[1]، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿جنّات﴾ أو بدلاً منه، أي فأنبتنا به جناتٍ رزقاً، ويجوز أن ينتصب بفعل مضمر: أي أنبتنا ذلك أو جعلناه رزقاً للعباد يأكلونه قوتاً وفاكهة وغذاءً ودواء وما كان من ذلك[2] ﴿**وأحْيَيْنا به**﴾ أي بالماء ﴿**بَلْدةً مَيْتاً**﴾ وإحياء الأرض: إخصابها بعد إجدابها، لأن الخصب لها كالحياة للبدن، والجدب كالموت بجامع الحلية والعُطْلة، والإنس والوحشة. وقال: ﴿بلدةً مَيْتاً﴾ على تأويل البلد، فهو تذكير على المعنى[3] ﴿**كذلك الخروج**﴾ ﴿١١﴾ أي كما أخرجْنا من الأرض ما ذكرنا من الجنات والحبّ نخرج الموتى عند البعث. هذه ثلاثة أدلّة على البعث، وفي ضمنها دليل على غيرها من الاستدلال على وجود الصانع وحكمته ونحو ذلك مما ذكر.

قوله عز وجل: ﴿**كذَّبَتْ قبلَهم**﴾ أي قبل الكفار الذين قالوا ﴿هذا شيءٌ عجيبٌ﴾[4] ﴿**قومُ نوحٍ وأصحاب الرَّسِّ**﴾ هو البئر،

---

(١) يعني مصطلح القطع عند الكوفيين أنه مفعول به لفعل محذوف، أو حال.

(٢) أجاز العلماء فيه أوجهاً: أن يكون مفعولاً من أجله، أو مفعولاً مطلقاً، أو حالاً. ينظر المشكل ٢/٣١٩، والعكبري ٢/٢٤١، والبحر ٨/١٢٢، والدر المصون ٧٤ أ.

(٣) قال القرطبي ١٧/٧، وقال: (ميتاً) لأن المقصود المكان، ولو قال ميتة لجاز.

(٤) في الآية الثانية من هذه السورة.

ولعلّه البئر المعطلة المذكورة في سورة «الحج»[1]، ومادة «رسّ» تفيد: معنى العمق والنزول[2]، وفي البئر معنى ذلك، ورَسيس الوَجْد: ما تَغْلَغَلَ منه في القلب ونزل إلى أعماقه، ولهذه البئر قصة مشهورة ﴿**وثمودُ. وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط. وأصحابُ الأيكةِ**﴾ هم من قوم شعيب: ﴿كذّب أصحاب الأيكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتّقون﴾[3] وهو أرسل إلى طائفتين: مدين وهم قومه، وأصحاب الأيكة وهم أجانب[4] منه ولذلك قال عز وجل: ﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعيباً﴾[5] وقال: ﴿كذّب أصحابُ الأيكة المرسلين. إذ قال لهم شعيبٌ﴾ ولم يقل أخوهم و﴿قوم تُبّع﴾ هم ملوك اليمن[6] ﴿**كلٌّ**﴾ أي كلّ واحدٍ من هذه الأمم، أو: كلّ فريق منهم ﴿**كذّبَ الرُّسُلَ**﴾ لأن الرسل جاءوا جميعاً من عند الله عز وجل، يدعون إلى توحيده والإيمان به، فدعواهم واحدة، فتكذيب أحدهم تكذيب جميعهم. وهذا هو الجواب عن كلّ موضع أُضيف فيه تكذيب الرسل إلى طائفة واحدة ذات رسول واحد ﴿**فحقَّ وعيد**﴾ ﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ أي استحقّوه ووجب لهم في حكم العدل والتقدير حقّ موجب وعيدٍ، وهو تعذيبهم وإهلاكهم، والوعيد: الإخبار بوقوع الشرّ، وضدّه الوعد.

---

(١) في قوله تعالى ـ الآية ٤٥: ﴿**وبئر معطلةٍ وقصر مشيدٍ**﴾ وينظر القرطبي ١٢/٧٥.

(٢) في المقاييس ٢/٣٧٢، أن المادة تدل على الثبات.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٧٦، ١٧٧.

(٤) ينظر القرطبي ٩/٨٤، ١٠/٤٥، ١٣/١٣٥.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٦) الطبري ٢٥/٧٧، والقرطبي ١٦/١٤٤.

قوله عز وجل: ﴿**أَفَعَيِينا بالخلق الأوّل**. . .﴾ الآية، استفهام إنكار عليهم، أي: أَعَجِزْنا عن خلقكم أوّل مرة حتى نعجز عن إعادتكم؟ وهو دليل رابع على البعث، قياساً على الإبداء بطريق أولى كما مرّ في العقيدة، يقال: عيَّ الرجل بأمره: إذا تحيّر فيه ولم يستقلّ به، قال الشاعر:

عَيُّوا بأمرهم كما عَيَّتْ ببيضتِها حمامَهْ
جعلت لها عُودَين من نَشَم، وآخرَ من ثُمامَهْ[1]

﴿**بل**﴾ أي لم نَعي بالخلق الأول حتى نعيى البعث ﴿**بل هم**﴾ يعني منكري البعث ﴿**في لَبْس**﴾ أي شكٍّ وإشكال ﴿**من خَلْق جديد**﴾ ﴿١٥﴾ أي يختلط عليهم أمر البعث فلا تدركه عقولهم كلّ الإدراك، ولا يأخذونه مسلَّماً عن الشرع. ﴿جديد﴾ صفة ﴿خلق﴾ لأن الخلق الأول وهو هذا الذي نحن فيه يدثُر ويتلاشى، فالإعادة تكون خلقاً جديداً.

قوله عز وجل: ﴿**ولقد خَلَقْنا الإنسان**﴾ أنشأناه واخترعناه ﴿**ونعلمُ**﴾ أي ونحن نعلم، ولولا هذا التقدير للزم عطف المضارع على الماضي وهو ﴿نعلم﴾ على ﴿خَلَقْنا﴾ وفيه ما فيه[2] ﴿ما

---

(١) اللسان ـ عي لعبيد بن الأبرص، وهما في ديوانه ١٣٨، ورواية الأول في الديوان:

برمت بنو أسدٍ كما برمت . . . . . .

والنشَم: شجر تتّخذ منه القسيّ. والثمام نبت ضعيف.

(٢) جوّز العكبري ٢/٢٤١ أن تكون الجملة حالاً مقدرة، أو مستأنفة. وينظر الدر المصون ٧٤ ب.

﴿تُوَسْوِسُ﴾[1] أي وسوسة نفسه: وهو حديثها الخفي ﴿إنّه يعلم الجهر من القول ويعلمُ ما تكتمون﴾[2] وقد قال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تَكَلَّمْ»[3] ﴿ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد﴾ ﴿١٦﴾ هذا القرب عند المفسّرين بالعلم[4]، نحو: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[5] و﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم﴾[6] وعند الحلولية هو قرب بالذات، لأن الربّ جلّ جلاله حالٌّ في خلقه عندهم ـ تعالى الله عمّا يقول الظالمون ـ. و﴿حبل الوريد﴾ هو من الإضافة كـ ﴿حبّ الحصيد﴾[7]. وفي الحقيقة هو عرق سارٍ في البدن، ففي الحلق يُسمَّى وريداً، وفي الظهر أبهر، وفي القلب أو الصدر وَتين، وفي الرجل نسا، وجميع هذه الأسماء واردة في الكتاب كالوريد والوتين، وفي السنة كالأبهر والنَّسا[8].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذا يتلقّى المتلقّيان﴾ الآية ﴿إذ﴾ متعلّق إما

---

(١) تمام الآية ﴿... ونعلم ما توسوسُ به نفسه ونحن أقرب...﴾.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١١٠.

(٣) البخاري ـ كتاب العتق باب ٦ ـ ٥/١٦٠ (الفتح). ومسلم ـ كتاب الإيمان باب ٥٨ ـ ١/١١٦.

(٤) قال القرطبي ١٧/٩ وهذا القرب قرب العلم والقدرة.

(٥) سورة الحديد: الآية ٤.

(٦) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٧) ينظر ص ٣٤.

(٨) وردت كلمة الوتين في قوله تعالى: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ سورة الحاقة: الآية ٤٦. ولفظة الأبهر في البخاري ـ المغازي ٨/١٣١، ولفظة النسا في المسند ٣/٢١٩، ٥/٧٨.

بـ ﴿أقرب﴾ قبلها: أي نحن أقرب إليه حين يتلقّى المتلقّيان، يعني الحافظَين يتلقيان كلما يقع منه فيكتبانه أو بـ ﴿ما يلفظ من قول﴾[1] أي: ما يلفظ من قول حين يتلقّى المتلقّيان كلامه إلاّ لديه رقيب وهو الملكان. فإن قيل: على التقدير الأول يلزم ألا يكون أقرب إليه من حبل الوريد إلاّ في حال تلقّي المتلقيين. قلنا: إن لزم ذلك فاللفظ لا عموم فيه يقتضي حصول القرب منه في عموم الأوقات، ولئن كان فيه عموم يفيد ذلك، أثبتنا القرب منه فيما عدا وقت تلقّي المتلقيين بدليل منفصل.

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ ﴿١٧﴾ هذه الجملة في موضع حال[2]، أي: إذ يتلقّى المتلقّيان حال قعودهما عن يمينه وشماله. و ﴿قعيد﴾: قاعد، والمعنى عن يمينه وشماله. ولام التعريف تعاقب الإضافة فتشعر بها وتدلّ عليها، أو يكون التقدير: عن اليمين والشمال منه.

﴿وما يَلْفِظ﴾ أي يلقي ويرمي، واللفظ: الرمي والإلقاء، شبّه القول المنطوق به بجسم يُرمَى به ﴿من قول﴾ من هذه جنسية مؤكّدة للنفي. والرقيب: الحافظ على الدوام من غير غفلة. و ﴿العتيد﴾: فعيل من: اعتدّ الشيء: إذا حصّله وانتظر به فعل ما وُضع له. و ﴿لديه﴾[3] عنده. و ﴿لديه﴾ أخصّ مطلقاً أو من وجه، لأن «عند» تصدق على ما كان حاضراً من جميع الجهات الست،

---

(١) ينظر العكبري ٢/٢٤١، والبحر ٨/١٢٣، والدر المصون ٧٤ ب.

(٢) ينظر الدر المصون ٧٥ ب.

(٣) تمام الآية ١٨ ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيبٌ عتيد﴾.

و ﴿لدى﴾ كأنّه يختص بجهة أمام: وهي جهة اليدين. والقول هل يعمّ كلّ ملفوظ به أو يختصّ بالكلام المفيد؟ فيه خلاف، وعليه يخرج ما يكتبه الملكان، فهذه حال الإنسان في وقت حياته من كونه مراقباً محفوظاً عليه.

ثم ذكر من ها هنا حاله من حين الموت إلى حين البعث وما بعده، فقال عز وجل: ﴿**وجاءَتْ سكرةُ الموت بالحقّ**﴾ الآية. ﴿جاءت﴾: أي حلّ وقتها، والسكرة: واحدة السكرات، وهي حالة مغيبة للذهن، ولكنها إذا كانت بالخمر صحبتها لذة، وإذا كانت بالموت ونحوه صحبها ألم، وأضيفت السكرة إلى الموت لأنّه سببها، ومعنى مجيئها بالحق أن الميت لا ظلم عليه بها، لأنّه عبد يتصرّف فيه ربّه عزّ وجلّ بما يختار، غيرَ ظالم له، أو أنها جاءت بلقاء الله عزّ وجلّ والمصير إلى الآخرة، وذلك حق. ﴿**ذلك**﴾ أي ويقال له لو أنّه مقول له بلسان الحال ذلك: أي هذا الموت ﴿**ما كُنْتَ منه تحيد**﴾ ﴿١٩﴾ أي تتقيه وتجتنبه وتميل عنه إذا أحسست سببه، وأشير إلى الموت الحاضر بلفظ الغائب تعظيماً له، كما قيل في ﴿ذلك الكتاب﴾[1].

﴿**ونُفِخ في الصُّور**﴾ وهو قرن سعته السموات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، فتخرج الأرواح منه إلى أجسادها[2]، وعُبّر عنه بلفظ الماضي إشارة إلى تحقّق وقوعه، حتى كأنّه مضى وانقضى. ﴿**ذلك يوم الوعيد**﴾ ﴿٢٠﴾ أي يوم يقع فيه الوعيد بأهله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) ينظر الطبري ١٥٧/٧، والقرطبي ٢٠/٧.

﴿وجاءَتْ كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشهيد﴾ ﴿٢١﴾ جملة في محل الحال، أي: جاءت مصاحبة للسائق والشهيد[1]. والظاهر أنهما الملكان الحافظان، أحدهما يسوقه إلى موقف الحساب، وكلاهما شاهد عليه بما حفظا عنه، أو كلاهما يسوقه ويشهد عليه، أو هما الشهيد عليه، والسائق غيرهما، كل ذلك محتمل[2].

﴿لقد﴾ أي يقال لكلّ إنسان: ﴿لقد كُنْتَ في غفلةٍ من هذا﴾ أي من هذا المقام أو المنقلب أو الحال أو الموقف والحساب، ولما كانت الغفلة غالبة عليه جعلت ظرفاً له مجازاً، لأن الظرف يحيط بالمظروف من جميع جهاته. والغفلة: الذهول عن الشيء، ويلتقي معناها ومعنى الغلفة على معنى التغطيةَ بالجملة، و﴿من هذا﴾: أما بمعنى عن لأن غفل يتعدّى بعن لا بمن، أو أن من ابتدائية، أي ابتداء غفلتك هذا المشار إليه، لأنّه لما كان هو المغفول عنه صار كأنّه سبب الغفلة. ﴿فكَشَفْنا عنك غطاءَك﴾ أي حجابك الذي غطّاه عنك، والدنيا حجاب عن الآخرة، فإذا فارقها الإنسان عاين أمور الآخرة، وهذا بشرط الكفر وإلّا فمن أولياء الله المؤمنين من يقول وهو في الدنيا: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، لأن إيمانه كشف عنه حجاب الدنيا ﴿فبصرُك اليومَ حديد﴾ ﴿٢٢﴾ أي قويّ سديد الإدراك، وهو فعيل من الحدّة، أو الحديد، فأنت تدرك به ما كان يخفى عنك ﴿بل

---

(١) قال العكبري ٢/٢٤١: الجملة صفة لـ﴿نفس﴾ أو ﴿كلّ﴾ أو حال من ﴿كلّ﴾ وجاز لما فيه من العموم. وينظر الدر المصون ٧٥ب.

(٢) ينظر الطبري ٢٦/١٠١، والقرطبي ١٧/١٤، والبحر ٨/١٢٤.

بدا لهم ما كانوا يُخفون من قبل﴾[1]، ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وقال قرينُهُ هذا ما لديّ عَتيد﴾ ﴿٢٣﴾ قرينه حفيظه المقارِن له في الدنيا[3]، هذا إشارة إلى عمله المحفوظ عليه ﴿ما﴾ يعني الذي لدي من عمله ﴿عتيد﴾ معدّ لحسابه عليه.

﴿أَلْقِيا﴾ أي يقال للزبانية ونحوهم ﴿ألقيا في جهنّم﴾ والأمر في اللفظ لاثنين، أما في الحقيقة، فالمأمور قيل: اثنان توفيقاً بين المعنى واللفظ، وقيل: يجوز أن يكون واحداً، وثنّى ضميره إشارة إلى فظاظته وغلظته حتى إنه قائم مقام اثنين، أو نظراً إلى غالب حال من له أمر من العرب وغيرهم أن أقلّ ما يكون في خدمته اثنان، فيقول أحدهم لخادمه الواحد قوما أو اقعدا أو افعلا. وقال الحجّاج: يا حرسي، اضربا عنقه. ويحتمل أن ﴿ألقيا﴾ أمر واحد مؤكّد بنون خفيفة قلبت ألفاً إجراء للوصل مجرى الوقف. وقيل: التثنية للفعل لا للضمير، والتقدير ألق ألق، يكرّر عليه الأمر تأكيداً[4]. ﴿كلَّ كفّارٍ عَنيد﴾ ﴿٢٤﴾ معاند في الحق، كما حكى عنهم من ﴿إنّهم لا يُكَذِّبونك ولكنّ الظالمين بآياتِ الله

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٨.
(٢) سورة الزمر: الآية ٤٧.
(٣) الطبري ٢٦/١٠٣، والقرطبي ١٧/١٦.
(٤) ينظر الفراء ٣/٧٨، والمشكل ٢/٣٢١، والطبري ٢٦/١٠٣، والقرطبي ١٧/١٦، والعكبري ٢/٢٤٢، والدر المصون ٧٥ ب.

يجحدون﴾[1] ﴿وجَحَدوا بها واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم ظُلماً وعُلُوّاً﴾[2].

﴿**منّاع للخير**﴾ يحتمل أن المراد وصفه بعموم منع الخير، كما قال عز وجل: ﴿ويمنعون الماعون﴾[3] ويحتمل أن المراد يمنع الإيمان نفسه بإعراضه عنه وغيره يصدّه عنه. ﴿**مُعْتَدٍ**﴾ مفتعل من العدوان بتركه للإيمان وغيره ممّا يجب عليه ﴿**مُريب**﴾ ﴿٢٥﴾ مرتاب غير مؤمن، أو فاعل للريب، يقال: أراب فهو مُريب: إذا أتى بما يُريب.

﴿**الذي جَعَلَ معَ الله إلٰهاً آخرَ**﴾ أي أشْرَكَ ﴿**فألْقِياه**﴾ عطف على ﴿ألْقِيا في جهنّم﴾ وليس ذلك تكراراً، لأن الثاني أخصّ من الأول، إذ الأول أمر بإلقائه في جهنّم، والثاني بإلقائه ﴿**في العذاب الشديد**﴾ ﴿٢٦﴾ منها، فهو مفيد زيادة عمّا أفاده الأول.

فإن قيل: كافر ومانع للخير أعم من كفّار ومنّاع، فقد كان الأمر بإلقائهما بهذه الصيغة أبلغ لعموم ذلك من اتّصف بعموم الكفر والمنع وخصوصهما، فلم عدل عن ذلك إلى صيغة المبالغة؟ فالجواب أنه يحتمل أن في هذا الكلام تعريضاً بمعيّن من الكفّار، متّصف بهذه الصفات على المبالغة فيها كأبي جهل ونحوه، نحو: ﴿ذُقْ إنّك أنت العزيزُ الكريم﴾[4]، ﴿أرأيت الذي ينهَى. عَبداً إذا صلّى﴾[5] فصار ذلك كالسبب للآية جرت عليه، ويحتمل

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٣.

(٢) سورة النمل: الآية ١٤.

(٣) سورة الماعون: الآية ٧.

(٤) سورة الدخان: الآية ٤٩.

(٥) سورة العلق: الآية ٩، ١٠.

أن ذلك وضع لصيغة المبالغة موضع غيرها تنبيهاً على أن كلّ كافر تنتهي حاله في الكفر والمنع إلى المبالغة، أو تنبيهاً على أن كفار العرب المخاطَبين بهذا الخطاب كانوا كذلك.

قوله عز وجل: ﴿**قال قرينُهُ**﴾ المراد به قرينه الشيطاني الجاري منه مجرى الدم، الموسوس ﴿**ربَّنا ما أطغَيْتُهُ**﴾ أي ما حملته على الطغيان ﴿**ولكن كان في ضلالٍ بعيد**﴾ ﴿٢٧﴾ أي عن الهدى وقبول الحقّ، أي طبعه الشرير كان يغنيه عن إطغائي له.

﴿**قال**﴾ يعني الله عز وجل ﴿**لا تَختصموا لديّ**﴾ أي عندي، أو بين يدي، وهذا يقال لكل إنسان وقرينه، فلذلك جمع الضمير في (تختصموا) ﴿**وقد قدَّمْت إليكم بالوعيد**﴾ ﴿٢٨﴾ أي تقدمت أو بادرت إليكم به، ويحتمل زيادة الباء، أي قدّمته إليكم، والمعنى أن هذا معنى الانتقام، لا وقت الخصام، ويحتمل أن هذا إشارة إلى خصومة النفس والجسد، فتقول الروح: إن الجسد كان مركبي إلى المعصية ولا ذنب لي، ويقول الجسد: إنما أنا جماد لولا الروح، فنضرب لهما مثل أعمى صحيح حمل مقعداً بصيراً حتى اقتطف ثمرة فأكلاها جميعاً، هل الدَّرَك[1] عليهما؟ فيقولان: نعم، فيقال: قضيتما على أنفسكما، وحينئذ يقال: لا تختصما، لأن الحكم يقطع الخصام.

﴿**ما يُبَدَّل القولُ لديَّ**﴾ أي قولي الذي تقدّم بوعيد العصاة لا يبدّل ولا أُخلفه، والمعنى أن قولي محفوظ عندي من التبديل

---

(١) الدرك: التبعة.

والخلف ﴿ولا مُبَدّل لكلماتِ الله﴾[1] ﴿وما أنا بظلّام للعبيد﴾ ﴿٢٩﴾ يحتمل أن المراد أنّي لا أظلمهم سوء عاقبتهم بذنب أو غيره، لأنهم ملكي، ولي التصرّفُ فيهم بكلّ حال، ويحتمل أن المراد أنّي لا أظلمهم فأعذّبهم بغير ذنب، ويكون هذا خارجاً مخرج العرف: من أن العقوبة بغير ذنب ظلم، أما كونه عزّ وجلّ قال: ﴿وما أنا بظلّام﴾ ولم يقلُ «بظالم» فنفى الظُلامة التي هي أخصّ دون الظالمية التي هي أعمّ، وقد كان نفيها أبلغ في نفي الظلم، فيحتمل وجوهاً: **أحدها**: أنّه وضع ظلّاماً موضع ظالم، لأن لفظ الآية به أعدل وأقرب إلى تناسب أجزاء الكلام. **الثاني**: لعل ذلك خرج ردّاً على من زعم أن الله عز وجل ظلّام للعبيد بهذه الصيغة، فنفى الله عز وجل ما أثبته ذلك القائل بصيغته. **الثالث**: لعلّه إشارة إلى أن من عاقب عبده بغير جناية ظلّام له مبالغ في الظُلم، والله عز وجل لا يفعل ذلك، فليس ظلّاماً كغيره[2].

قوله عز وجل: ﴿يومَ نقولُ لجهنَّمَ هل امتلأتِ﴾ الآية، الظرف متعلق بمضمون هذه الجملة[3]، أي يكون ما ذكرناه من الحساب والخصام والشهادة في هذا اليوم: يوم نقول لجهنّم هل امتلأت، هذا فيه إشكال، لأن هذا الاستفهام لا يجوز أن يكون على أصله في الاستخبار، لأن الإله جلّ جلاله لا يخفى عنه شيء

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٢) ينظر القرطبي ١٥/٣٧٠، والبحر ٣/١٣١.

(٣) ينظر الدر المصون ٧٥ ب.

حتى يستفهم عنه، ولا يجوز أن يكون تقريراً، أي قد امتلأت، لأنها لو امتلأت لم تسأل المزيد.

وحلُّ هذا الإشكال بالتزام القسم الثاني، وهو أنّه تقرير، غير أنها امتلأت امتلاء لا يمنعها من احتمال الزيادة، كأول مراتب الشبع لا يمنع من قبول لقمة وعشر، ونحو ذلك[1]. ﴿وتقول﴾ يعني جهنم تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزيد﴾ ﴿٣٠﴾ يعني من العصاة الذين يُلْقَون فيها، أي زيدوني، تغيّظاً وحنقاً عليهم، وغضباً لله عزّ وجلّ على مَن عصاه ﴿إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سَمِعوا لها تغيّظاً وزَفيراً﴾[2] الآيتين.

قوله عز وجل: ﴿وأُزْلِفَتْ﴾ أي قُرِّبَت ﴿الجنّةُ للمتّقين﴾ لأجلهم ليدخلوها ﴿غيرَ بعيد﴾ ﴿٣١﴾ يحتمل هذا البعد أن يكون مكانياً، وأن يكون زمانياً، ومحل ﴿غير بعيد﴾ النصب نعتاً لمصدر محذوف، أي أُزلفت إزلافاً، أو قرّبت تقريباً غير بعيد، أو حالاً تقديره: قربت حال كونها غير بعيدة عنهم، ويفيد المبالغة في تقريبها لهم[3].

﴿هذا﴾ أي ويقال لهم: ﴿هذا ما تُوعَدون﴾ أي ما وُعدتم، أو كنتم توعدون، أو لوحظ فيه حال الخطاب فجرى على الاستقبال، لأن إزلاف الجنّة بالنسبة إلى حال نزول القرآن مستقبل

---

(١) ينظر القرطبي ١٨/١٧، والبحر ١٢٧/٨، والدر المصون ٧٦أ.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٢. وربما أراد بالآيتين: هذه، وقوله تعالى في سورة الملك: الآية ٨ ﴿تكادُ تَمَيَّزُ من الغيظ...﴾.

(٣) ينظر العكبري ٢٤٢/٢، والبحر ١٢٧/٨، والدر المصون ٧٦أ.

﴿لكلِّ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هذا لكلّ ﴿أوّابٍ﴾ رجّاع عن معصية الله إلى تقوى الله عز وجل ﴿حفيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾ حافظ لنفسه عن المعصية. ﴿والذين هم لِفُروجِهِمْ حافِظون﴾[1] أو يكون المراد حافظ لعهد الله عز وجل ووصاياه ﴿والحافظونَ لحدودِ الله وبشّرِ المؤمنين﴾[2].

﴿مَنْ خَشِيَ الرحمٰن بالغيب﴾ هذا نعت لـ ﴿حفيظ﴾ أي لكلّ أوّاب حفيظ خاشٍ لله[3]، ومعنى خشية الرحمٰن بالغيب مراقبته حال عدم معاينة الإنسان له، لأن الغيب لا يثبت بالإضافة إلى الله عز وجل، إذ لا يغيب عنه شيء، وإنما يثبت بالإضافة إلى العبد، «اعبدِ الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4] والباء ظرفية. أي يخشاه في حال الغيب. ﴿وجاءَ﴾ يعني ربّه ﴿بقلبٍ منيب﴾ ﴿٣٣﴾ راجع إلى طاعته عن معصيته نحو ﴿إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم﴾[5] من الكفر، ونحوه ﴿إذ جاء ربَّه بقلبٍ سليم﴾[6].

﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم: ادخلوها، يعني الجنّة ﴿بسلام﴾

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٣) قال العكبري ٢/٢٤٢: ﴿من خشي﴾ في موضع رفع، أي: هم من خشي، أو في موضع جرٍّ بدلاً من ﴿المتّقين﴾، أو ﴿من كلّ أوّاب﴾ أو في موضع نصب، أي: أعني من خشي، وقيل ﴿من﴾ مبتدأ والخبر محذوف تقديره: يقال لهم ادخلوها. وينظر البحر ٢/١٢٧.

(٤) البخاري ـ الإيمان باب ٣٧ ـ ١/١١٤، ومسلم ـ الإيمان باب ١ ـ ١/٣٧.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٦) سورة الصافات: الآية ٨٤.

أي مُسَلَّماً عليكم من أهلها والملائكة الذين فيها ﴿والملائكةُ يَدخلون عليهم من كلّ باب. سلام عليكم﴾[1] أو ادخلوها سالمين من نكد دخولها من منعٍ وتبرُّم ونحو ذلك. ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك اليوم ﴿**يوم الخُلود**﴾ ﴿٣٤﴾ أضيف إلى الخلود لأنّه مبدؤه وأوّل مدّته، والمراد باليوم الوقت، والخلود: البقاء الدائم غير المنقطع، ويستعمل في المقام الطويل وإن انقطع كبقاء الجبال، ولذلك سمّيت خوالد[2]، ولعل العرب سمّتها بذلك لاعتقاد دوامها وعدم زوالها.

﴿**لهم**﴾ ولم يقل لكم، إما لأنّه التفات عن الخطاب إلى الغيبة، أو لأنّه راجع إلى المتّقين وهو الصواب، والالتفات لا يتحقّق ﴿**ما يشاءون**﴾ أي الذي يختارون ويريدون ممّا يصلحهم ﴿**فيها**﴾ أي في الجنة. ﴿**ولدينا**﴾ أي عندنا ﴿**مَزيد**﴾ ﴿٣٥﴾ قيل المزيد هاهنا رؤية الحق جلّ جلاله[3]، كما في قوله عز وجل: ﴿للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[4] وفيه نظر؛ لأن الرؤية مما يشاءون فكيف تكون زيادة عليه، وقد يجاب عن هذا بأن الرؤية وإن كانت مما يشاءون لكن خُصّ بالذكر تشريفاً له، من باب عطف الخاص على العام، والمختار في المزيد ها هنا أن المشار إليه بقوله عز وجل: ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرّةِ

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٣، ٢٤.

(٢) ينظر القاموس ـ خلد.

(٣) الطبري ٢٦/١٠٩، والقرطبي ١٧/٢١، والدر المنثور ٦/١٠٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٦.

أعين﴾[1] وذلك لأن الله عزّ وجلّ يعلم لهم من الملاذ والمنعة وقُرّة الأعين ما يخرج عن مشيئتهم، لأنهم لا يَعلمونه، فيُعلمهم الله عز وجل به ويثيبهم عليه، فيكون مزيداً على ما يشاءونه لأنّه خارج عن مشيئتهم وعلمهم.

قوله عز وجل: ﴿**وكم أَهْلَكْنا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ**﴾ أي من أمّة ﴿**هم أَشَدُّ منهم بَطْشاً**﴾ أي قوة وأثراً، والبطش: أثر القوّة. والقرن مفرد من حيث اللفظ، جمع من حيث المعنى، وبهذا الاعتبار قال ﴿هم﴾ ولم يقل هو أشدّ. ﴿**فنقَّبُوا في البلاد**﴾ يحتمل وجوهاً: **أحدها**: نَقْب البيوت في الجبال ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيُوتاً﴾[2]. **الثاني**: السفر في البلاد سفراً بليغاً حتى كأنّهم وقفوا على نقابها وغيرانها. **الثالث**: البحث عن الأخبار بالسفر في البلاد[3] ﴿**هل من مَحِيص**﴾ ﴿٣٦﴾ أي فلم يكن لهم محيص، أي فاسألوا هل كان لهم من محيص، فإنكم لا تخبرون بذلك، والمحيص: المَخْلَص أو الخلاص، من حاص يحيص: إذا وجد مخلصاً.

قوله عز وجل: ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمَنْ كان له قلبٌ**﴾ الآية. أي في إهلاك القرون الماضية وما ذكر من أحوال الآخرة ﴿ذكرى﴾ تذكر وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾. كان لها أقسام: ناقصة، وتامة، وزائدة، وبمعنى صار، وذات ضمير الشأن، وقد

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٢.

(٣) ينظر القرطبي ١٧/٢٣، والبحر ٨/١٢٩.

وجّهت للأقسام في هذه الآية[1]، والمراد بالقلب حقيقة، لأنّه محلّ الفهم والوعي، وقيل: المراد العقل، لأن القلب محله عند قوم، وقيل: محلّه الدماغ عند آخرين، والقولان منصوصان عن أحمد والشافعي، والخلاف أيضاً بين الفلاسفة في ذلك، والأشبه أن محلّه الدماغ[2]. ﴿**أو ألقى السمعَ**﴾[3] أي استمع وقلبه شاهد حاضر، لأن من استمع وقلبه غائب لم ينتفع وكأنه لم يستمع. وقوله عز وجل: ﴿ألقى السمع﴾ استعارة بليغة، لأنّه شبه إصغاء السمع بإلقاء الدلو لإخراج الماء، تنبيهاً على أن المستمع ينبغي أن يكون كذلك، حرصاً على الفائدة.

قوله عز وجل: ﴿**ولقد خلَقْنا السمواتِ والأرضَ**﴾ الآية، نزلت بسبب قول اليهود: إن الله عزّ وجلّ لمّا أكمل خلقه يوم الجمعة استراح يوم السبت[4] والاستراحة تشعر بتقدّم التعب، فردّ اللَّهُ عزّ وجلّ عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد خَلَقْنا السمواتِ والأرض وما بينَهما في ستّة أيّام وما مسَّنا من لُغوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ أي من تعب، وعكسه غُلوب من الغلبة، ومن تعب غُلب على حركته، فالمادّتان تلتقيان على هذا المعنى، وربما زعم بعضهم أن النَّصَب تعب القلب، واللُّغوب تعب البدن، ومنه ﴿لا يمسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغوب﴾[5].

---

(١) نقل ابن هشام في المغني ٦١٧ جواز الأوجه الثلاثة في هذه الآية، وجعل الزيادة أضعف الثلاثة.

(٢) ينظر القرطبي ١/٣٧٠، ٣٧١.

(٣) تمام الآية ٣٧: ﴿**أو ألقي السمع وهو شهيد**﴾.

(٤) الطبري ٢٦/١١١، والقرطبي ١٧/٢٧، والدر المنثور ٦/١١٠.

(٥) سورة فاطر: الآية ٣٥.

قوله عز وجل: ﴿**فاصْبِرْ على ما يقولون**﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، والضمير في ﴿يقولون﴾ لليهود المذكورين، أو الكفار، أو للجميع، وهو أولى، لأن جميعهم كانوا يُسمعونه من الأذى ما يحتاج إلى الصبر عليه ﴿**وسبِّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبلَ الغروب**﴾ ﴿٣٩﴾ أي صلِّ في هذه الأوقات، والتسبيح يطلق على الصلاة لاشتمالها عليه في الركوع والسجود، واشتراكهما في معنى التنزيه، وقد وافقت هذه الآية قوله عز وجل: ﴿واستَعِينوا بالصبر والصلاة﴾[1] في التوجه إلى الله عز وجل بهما، و﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح و﴿قبل الغروب﴾ الظهر والعصر ﴿**ومن الليل فسبِّحه**﴾ أي بعض الليل سبّحه، فهي للتبعيض، أو اجعل الليل مبدأ تسبيحك، فهي لابتداء الغاية، والأول أشبه، وتسبيح الليل المراد هنا صلاة المغرب والعشاء، فاستوفت الآية الصلوات الخمس ﴿**وأدبار السُّجود**﴾ ﴿٤٠﴾ إشارة إما إلى التسبيح عقيب الصلاة، إذ كان التسبيح الأول هو نفس الصلاة، أو إشارة إلى صلاة التطوّع[2]، وفي الحديث الصحيح: «إنكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلةَ البدر، لا تضامّون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا»[3] وصلاة الفجر والعصر يجتمع فيهما ملائكة الليل

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.

(٢) الطبري ٢٦/١١٢، والقرطبي ١٧/٢٤، والدر المنثور ٦/١١٠.

(٣) البخاري ـ مواقيت الصلاة باب ١٦ ـ ٢/٣٣، ومسلم ـ المساجد باب ٣٧ ـ ١/٤٣٩.

والنهار، فلهما مزية على غيرهما، ولهذه الآية نظائر في جمع مواقيت الصلاة في «سبحان» و«طه» و«الروم»[1].

قوله عز وجل: ﴿**واستمع يوم ينادي المنادي**﴾ هو إسرافيل حين ينفخ في الصور وهو الداعي الذي يدعو إلى شيء نُكُر: أي تنكره القلوب وتضطرب له ﴿**من مكان قريب**﴾ ﴿٤١﴾ أي لشدّة ندائه هو قريب من كلّ أحد بحيث يسمعه، ويحتمل أن المراد بالمنادي الله عزّ وجلّ حيث ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب كما ورد في الصحيح[2]، والأول أولى، وفي معنى ﴿استمع﴾ احتمالان: **أحدهما**: استمع يا محمد هذا الكلام، وهو أن ينادى هو يوم الخروج، كما تقول لصاحبك: اسمع كلامي يوم تقدم عليّ هو يوم عيدي، أو نحو ذلك. **الثاني**: استمع في ذلك اليوم نداء المنادي، فإنك ترى من حال الكفار

---

(١) قال تعالى في سورة «سبحان» الإسراء ٧٨ ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل...**﴾ وقال عزّ وجلّ في سورة طه: الآية ١٣٠: ﴿**... سبح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلّك ترضى**﴾. وقال سبحانه في سورة الروم: الآيتان ١٧، ١٨: ﴿**فسبحان الله حِينَ تُمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون**﴾.

(٢) في صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد باب ٣٢ ـ ١٣/٤٥٣: (**يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الملك، أنا الديان**).

عجباً، فيوم ينادي ظرف للاستماع على هذا الوجه دون الأول[1].

﴿**يومَ يسمعون الصيحة**﴾ بدل من ﴿يوم ينادي المنادي﴾[2] ﴿بالحقّ﴾ بالعرض على الله عز وجل، أو غير مطلق من تسماعها وترويعهم بها ﴿**ذلك**﴾ يعني اليوم ﴿**يوم الخروج**﴾ ﴿٤٢﴾ أي خروج الأموات.

﴿**إنا نحن نُحيي ونُميت**﴾ هذا كلام في غاية التأكيد مثل ﴿**إنك أنت الأعلى**﴾[3] والنون في نميت ونحيي للعمظة، لأنهما فعلان عظيمان لا يصدران إلّا عن عظيم. واعلم أن الله عزّ وجلّ تارة يعبر عن نفسه بنُون العظمة تنبيهاً على عظمته، وتارة بدونها إشارة إلى توحيده وتفرّده واستغنائه عن معين وظهير. و﴿نحيي ونميت﴾ إن قصد به الترتيب فالمراد الحياة الأولى، وهي الوجود بعد العدم، والموتة الأولى، وهي هذه العامة، وإن لم يرد الترتيب فالمراد الموت والبعث، وقد لا يكون المراد شيئاً من ذلك، بل الإخبار بالقدرة على الإحياء والإماتة ﴿**وإلينا المصير**﴾ ﴿٤٣﴾ المرجع ﴿ثم إلينا تُرْجَعُونَ﴾[4] ﴿وإلى الله تُرْجَعُ الأمور﴾[5] والمصير مصدر بمعنى الصيرورة.

قوله عز وجل: ﴿**يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً**﴾[6] الآية.

---

(١) ينظر الطبري ٢٦/١١٤، والقرطبي ١٧/٢٧، والبحر ٦/١١٠.

(٢) العكبري ٢/٢٤٣، والدر المصون ٧٧ أ.

(٣) سورة طه: الآية ٦٨.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

(٦) تمام الآية ٤٤: ﴿**يومَ تشقّقُ الأرض عنهم سراعاً ذلك حَشْرٌ علينا يسير**﴾.

التشقّق: التصدّع. السّراع: العجال. والحشر: الجمع. واليسير: السهل. والمعنى: إلينا المصير في هذا اليوم، أو أنها بدل من ﴿يوم ينادي المنادي﴾ يعني في هذا اليوم تشقق الأرض ـ وهي القبور عنهم ـ فيخرجون سِراعاً ﴿يومئذ يصدُرُ الناسُ أشتاتاً﴾[1] ﴿مُهْطِعين إلى الداعي كأنّهم إلى نُصُب يُوفِضون﴾[2] والإخبار بيسارة الحشر مناقضة للكافرين الزاعمين صعوبته وإطالته.

قوله عز وجل: ﴿**نحن أعلم...**﴾[3] الآية. الجبّار: المسلّط المستدعي الطاعة بطريق الجبر وهذا معنى ﴿لستَ عليهم بِمُسَيْطِر﴾[4] ثم يحتمل نسخه بآية السيف[5]، ويحتمل بقاءه، ويكون من باب التهديد لهم. والمعنى: نحن أعلم بقولهم وفعلهم من الفعل والأذى، وسنجازيهم على ذلك، وإنما عليك البلاغ.

﴿**فذكّر بالقرآنِ مَنْ يخاف وعيد**﴾ ﴿٥٥﴾ أي إن الذين تذكّرهم بالقرآن ضربان: قاسي القلب شديد التمرّد، وليّن القلب سريع الانقياد خائف من وعيد الله عز وجل، فذكِّر الناس بالقرآن لتحصيل إيمان هذا الضرب من الناس، أو يكون المراد بـ ﴿من يخاف وعيد﴾ المؤمنين مثل: ﴿وذكِّر فإنّ الذكرى تنفعُ المؤمنين﴾[6].

* * *

(١) سورة الزلزلة: الآية ٦.

(٢) سورة القمر: الآية ٨.

(٣) تمام الآية: ﴿**نحنُ أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبّار فذكّر...**﴾.

(٤) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

(٥) وهي قوله تعالى في سورة التوبة: الآية ٥: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾. ينظر نواسخ القرآن ٤٧٠، والقرطبي ٢٨/١٧.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

هذا آخر ما أردناه من تفسير هذه السورة الكريمة، وقد اشتملت على مطالب شريفة، كالدليل على التوحيد، وعلى البعث، وعلى أحكام اليوم الآخر بضرب من التفصيل، وأشباه ذلك ممّا ذُكر.

* * *

أنهاه إملاءً العبدُ الفقير إلى الله عز وجل سليمان بن عبدالقوي البغدادي عشية الأحد، سابع عشر رجب الفرد بسجن رحبة باب العبد من القاهرة، سنة إحدى عشرة وسبعمائة، حامداً الله عز وجل، مصلياً على رسوله عليه السلام.

(*) وفي آخر المخطوطة: نقله من خط مؤلفه المذكور أفقر عباد الله وأحوجهم إليه محمد بن عبدالوهاب بن محمد غفر الله له ولمن ألفه، ولمن نظر فيه، ودعا لهم بالرحمة والمغفرة، ولجميع المسلمين. آمين آمين آمين.